2- ألعاب فكرية سخيفة

يرتبط المجتمع الغربي المعاصر بعلاقة حب - كراهية مع المعرفة. فمن ناحية نسعى إليها ونحتفي بها، ونوظف أشخاصاً لاكتساب المعرفة بظروف السوق، ومزاج الأمة، وبكيفية جعل طفلك ذي ثلاث السنوات يتصرف على نحو أفضل. منذ الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، وصانعو الآراء يشتكون من أننا ببساطة لا نعرف ما يكفي عن السبب الذي جعل الإرهاب تهديداً عالمياً بهذا الشكل أو لماذا يبدو أن المجتمعات الإسلامية تمقت الغرب. يبدو أنه ليس لدينا عدد كافٍ من الأشخاص ممن يتقنون لغات منطقة الشرق الأوسط. وبصراحة، فإننا قلقون بشأن افتقارنا للمعرفة ونخشى أننا لا نعرف ما يكفي حول ما يجري في أنحاء واسعة من العالم. إننا نأخذ المعرفة على محمل الجد وعلى نحو كبير، كما تؤكد على ذلك عبارات مثل «المعرفة هي القوة».

لكن وفي الوقت نفسه فإن المجتمع لا يرتاح للسعي من أجل الحصول على المعرفة، ولا يثق في كثير من الأحيان بمن يدّعون المعرفة. ثمة تشكيك واسع في السلطة العلمية، وأولئك الذين يحاولون توسيع حدود المعرفة العلمية يجدون أنفسهم متهمين بأنهم «يؤدون دورًا مقدسًا». وهذه الاتهامات لا توجه فقط إلى الأشخاص العاملين في مجالات إشكالية مثل الأبحاث الوراثية أو تقنيات النانو (الأصغرية)، بل أيضاً إلى أولئك الذين يحاولون اكتساب فهم أفضل للصحة البشرية بشكل

عـام. يتعرض علمـاء الاجتماع الذيـن يسعون لاكتسـاب المعرفة «بحد ذاتها» لارتباطهـم «بما ورائيات السرد» بالحدة نفسها التي توجه عادة ضـد الأبحـاث الوراثيـة. في الماضي كان يقـال: إن «مقـداراً قليلاً من المعرفة هو أمر خطير». أما اليوم، فيواجه المجتمع تياراً تحتياً يتكون من آراء تقول: إن «قدراً أكبر من اللازم من المعرفة يهدد بقاء البشرية».

إن تعايش شهية لا ترتوي للمعرفـة مع تشكك في المزيد من تطورها يمثـل إحدى مفارقـات الثقافة الغربيـة اليوم. كمـا أن الطلب المستمر علـى الأدلة العلمية يوجد جنباً إلى جنب مع المخاوف حيال ما يمكن أن يقـوم به العلمـاء في مخابرهم. لم تؤدِ الاستثمـارات الهائلة في التعليم والجامعـات والأبحاث الخاصة إلى ازدهار خطـاب علمي، أو ثقافي، أو فكري عام. يبدو أن الأجيال الشابة تشعر بنفور من الرياضيات والعلوم. العدائية والتشكك وليس الفضول الفكري هما اللذان يغذيان المناظرات الدائرة حول هذه الموضوعات. ولم يؤدِ رد الفعل تجاه التجريب والتقدم إلى تأسيس منافذ بديلة لتطوير 'لفضول الفكري.

في الماضـي، كان الشبـاب عندمـا يشعـرون بالغربـة عـن العلـوم يتجهـون إلى الآداب والفنـون، أمـا جيـل اليوم من الطـلاب فقد تبنى مقاربـة براغماتية على نحو خاص، فهو يشعـر بالنفور في الوقت نفسه مـن التاريخ، وعلم الاجتماع، والفلسفة، والعلـوم. في الولايات المتحدة، انخفض عدد خريجي أقسـام التاريخ في الجامعات والمعاهد الأميركية بـين عامـي 1970، و1995، بمعـدل 39 في المئة، وعـدد خريجي اللغات الأجنبية بمعدل 37 في المئة، وخسرت أقسام اللغة الإنكليزية 10 في المئة

من طلابها[56]. وحدث هذا التراجع في وقت كان عدد طلاب المعاهد يرتفع بشكل مطرد! إن عدم ارتياح الناس للمعارف العلمية الموجودة يضاف إليه إحساس ملموس بعدم المبالاة تجاه المزيد من تطوير هذه المعارف.

غير أن عدم ارتياح الناس لتطوير المعارف لا يعني أنهم توقفوا عن الشعور بالفضول حول كيفية عمل العالم. ثمة شهية كبيرة للغاية لدى الناس تجاه كتب العلوم الشعبية. وتحتل السير الذاتية التاريخية في كثير من الأحيان الصدارة في قوائم الكتب الأكثر مبيعاً، في حين أن برامج التلفاز التي تعنى بالموضوعات التاريخية والعلمية يمكن أن تحظى دائماً بجمهور كبير من الأشخاص ذوي الفضول المعرفي. عدد كبير من الناس يريدون فعلاً أن يعرفوا المزيد عن العالم. إلاّ أنه وفي عالم يفتقر فيه السعي لاكتساب المعرفة إلى التوكيد الثقافي، تكتسب علاقة الناس بهذا السعي صبغة سلبية. صحيح أن الناس يشترون كتب العلوم الشعبية، غير أنهم نادراً ما يجتمعون للنقاش والمناظرة بشأن القضايا التي تحتويها هذه الكتب. لقد سعى العديد من الأشخاص لاستغلال الفرص التي توفرها الإنترنت ليتابعوا الأفكار التي تشدهم أو لتعلُّم المزيد عن الموضوعات التي تهمهم. غير أن هذا التطور المرحب به يدفعه التشكك في المصادر الرسمية للمعرفة بقدر ما تدفعه الرغبة باستكشاف الأفكار الجديدة.

تتأثر علاقة المجتمع القلقة بالمعرفة بالقوى المسؤولة نفسها عن الوضع المتغير للمثقف. لقد تعرضت المكانة الكبيرة التي منحتها الحداثة تقليدياً للمعرفة للتحدي من عدد من المصادر. هناك خيبة الأمل بوعود الحداثة والتنوير؛ والإحساس بالضعف الشديد فيما يتعلق بالقدرة على

التنبؤ بالمستقبل، وتنامي تأثير مقاربة نسبية للمعرفة؛ واستبدال السعي نحو المعرفة بالتركيز البراغماتي على المعارف الجزئية المتخصصة.

التحرر من وهم إرث التنوير

منذ البداية تعرض التنوير للعداء والنقد. وكان خصوم التنوير متشككين جداً من الادعاء بأن القدرة البشرية على التفكير العقلاني يمكن أن تضمن التقدم المستمر وتحسين الظروف الحياتية. ومنذ البداية كان أنصار التنوير يُتهمون بأداء دور مقدس. رفض الفلاسفة المتدينون والمحافظون الاحتفاء الإنسانوني المتفائل بالقدرة على المعرفة بوصفه مشروعاً شريراً يهدف إلى تقويض مملكة المقدس. وكان معارضو التنوير يعتقدون أن العقلانية تحط من قيمة الأواصر الروحية التي تربط الناس بالله وبتراثهم ومجتمعاتهم. وساد شعور بأن أي إستراتيجية لإحداث التغيير العقلاني لا بد أن تقوض التوازن الحرج، وتجعل الأمور أسوأ دون ريب.

تعرضت العقلانية للهجوم بسبب الاعتقاد بأنها تتناقض مع ازدهار الروح البشرية. ادعى نقاد التنوير أن المكانة المتميّزة التي أسبغت على العقل همشت البعد الروحي والأخلاقي للحياة. وحُمِّلت النزعة الداعية لتشجيع العقل والتفكير العلمي المسؤولية عن تراجع الدين، ومن ثمّ عن خلق فراغ روحي وعاطفي. وأوحى البعض بأن ضياع أشكال اليقين الروحي الذي كان سائدًا في الماضي كان مسؤولاً عن تنامي التعصب والشمولية. طبقاً لكونور كروز أوبرايان، فإن التنوير أوجد

«فراغـاً عاطفياً» ملأته القومية. وهكذا فإن الحرب المريرة التي تبعت والتـي شملـت أوروبا يتم تمثيلها على أنها الإرث غـير المباشر للتنوير، وقبل أن يتم تقديم أي مناشدة لاستعمال العذر المخفف، يصر على أن «المسؤوليـة، وبالرغم من كونها غير مباشـرة، إلا أنها حقيقية بالرغم من ذلك عبر خلق ذاك الفراغ العاطفي الكوني»[57].

كان الدافـع في اتجاه القلق حيال السعي لاكتساب المعرفة والعقل هو الاعتقـاد بأنه سيقوض التوازن الموجود بين الفئات المختلفة في المجتمع. كان المفكرون المعادون للتنوير يعتقدون بصدق أن المعرفة خطيرة؛ لأنها تهدد بإضعاف الإيمان والمعتقدات التي ساعدت في منع الجماهير التي تكون غير عقلانية دون الإيمان والمعتقدات، من تقويض المجتمع بأسره. وساد شعور بأن قدراً أكبر مما يجب من التعليم والمعرفة يمكن أن يسهم في إشاعـة عدم الاستقرار؛ لأن ما كان يبقي الجماهير هادئة هو الدين واحترام السلطة. ولذلك فإن الكثيرين ممن كانوا يدافعون عن التراث كانـوا يخشون مـن تقدم العقل. كما شرح الفيلسـوف المحافظ جوزيف دي ميسـتر: ينبغي أن يحاط مهد الإنسـان بالعقائد، وعندما يستيقظ عقلـه، ينبغي أن يجد أن جميع آرائه قد صيغت، على الأقل تلك المتعلقة بسلوكه الاجتماعي. لا شيء أكثر أهمية للإنسان من التحامل[58].

في هـذا الخيـال المعادي للحداثـة، كانت العقائـد والتحامل ترتبط بشكل مباشر بفرض النظام والمحافظة على التلاحم الاجتماعي. وعلى النقيض من ذلك، فـإن المعرفة والعقل كانا يشـيران إلى عدم اليقين، والتشوش والاضطراب وعدم الاستقرار.

جدير بالذكر أن رد الفعل المعادي للتنوير في القرن التاسع عشر ظل أقل أهمية من الإحساس الطاغي بالديناميكية والتقدم. بوجه عام فإن حماسة الجماهير للعلم، والاعتقاد العام بقوة العقل والتقدم، شجعت التوصل إلى تقويم ثقافي إيجابي للمعرفة. في مثل تلك الظروف كان التجريب، والتغيير وحتى التطور تفسر في كثير من الأحيان على أنها أعراض للتقدم التاريخي، كما كتب وليام وردزورث احتفاء بالثورة الفرنسية: إذا كنت حياً ذلك الفجر فتلك نعمة كبرى،إذا كنت شاباً فذاك النعيم بحد ذاته.

اليوم، تبدو أفكار وردزورث غير منسجمة مع المواقف الاجتماعية حيال التغيير. يتسرب الخوف من التغيير إلى كل وجه من وجوه الفكر الاجتماعي. وعزز من الوجود الضاغط لهذه العاطفة الصورة الطاغية للفشل والمرتبطة بالمحاولات السابقة لإجراء تحولات اجتماعية. والاستنتاج الذي تخلص إليه معظم التعليقات هو أن محاولات تغيير المجتمع تؤدي إلى وضع أسوأ مما كان موجوداً من قبل. ويدعى بأن محاولة وضع سياسات عامة مرتبطة بالعقلانية قد جعلت الأوضاع أسوأ كثيراً. يتم شجب المعارف والأفكار وخصوصاً الإيديولوجيات المرتبطة بالتنوير على أساس أنها مسؤولة عن الدمار الذي لحق بالناس في القرن العشرين. لقد جادل أحد كتاب الأعمدة السياسية البريطانيين بأن الإيديولوجيات التغييرية ألحقت ضرراً كبيراً بقرننا وأدت إلى موت الملايين»[59] تشكل هذه الملاحظة صدى لتلاشي سحر تراث التنوير.

لقد أصبحت النزعة للحد من إعمال العقل سمة طاغية للحياة الفكرية الغربية. في مسح أجري مؤخراً حول الموضوع، كتب عالم الاجتماع الأميركي المعروف جيفري أليكساندر حول «سعة انتشار اللاعقلانية في كل مكان». طبقاً لأليكساندر، «فقد أصبح وجود العقل محسوساً كوجود صَدَفة فارغة، وأصبح التقدم أمراً غير مفهوم، وفي كثير من الأحيان غير مرغوب»[60]. حتى أنصار التنوير يجدون من الصعوبة الترويج لنظرة متماسكة إلى العالم راسخة في قيم العقل والتقدم. إن أفضل سيناريو يقدمه كتاب موريس بيرمان، أفول الثقافة الأميركية هو ذاك «الذي يكون فيه نهضة، ومحافظة على ثقافة التنوير، ونقلها لكن لنخبة قليلة فقط، وحيث يكون أثرها على ما تبقى من أوجه الثقافة غير موجود تقريباً»[61].

إن رد الفعل ضد العقل اليوم أقوى كثيراً من أي وقت مضى منذ ظهور الرأسمالية. في القرن التاسع عشر، لم تشكك الثورة الرومانسية ضد العقل بإمكانية المعرفة، بل إنها شككت فقط في أحد أشكال المعرفة المتمثل في المعرفة العقلانية. أما اليوم، فإن إمكانية المعرفة بحد ذاتها أصبحت عرضة للتشكيك من قبل الأشخاص الذين يدّعون أن العالم قد أصبح أكثر تعقيداً مما يمكن فهمه.

كما يمكن فهم رد الفعل ضد التنوير على أنه رفض لسلطة المعرفة. تستعمل المجادلة القائلة بمحدودية المعرفة الإنسانية على نحو دائم للحط من شأن محاولات تحسين الظروف الاجتماعية عبر السياسات العامة أو التقدم العلمي. إن الحط من قيمة العقل والفهم يبرر

الممارسات السياسية التي تستند إلى التشكك في السلطة الفكرية، والعلم والمعرفة. في العقود الماضية روَّج لهذا الموقف بحماسة أشخاص على يمين الطيف السياسي. جادل مفكرون غير عقلانيين، مثل نيتشه وشوبنهاور، بأن الجهل وليس المعرفة هو ما يميز الظرف الإنساني. التاريخ بالنسبة لهم، كانت الفوضى، والمصادفة فيه أكثر أهمية من المعنى. كما كان عدم الارتياح تجاه التفكير العقلاني واضحاً أيضاً بين العديد من مؤسسي العلوم الاجتماعية وأبرز المشتغلين فيها.

كان ماكس ويبر، الذي يبقى حتى اليوم أحد أكثر علماء الاجتماع تأثيراً، يعتقد أن هناك قيوداً مهمة على إعمال العقل. وكان يتبنى وجهة النظر القائلة: إن العقل كان ذا فائدة محدودة في فهم القيم. وكان ويبر يعتقد أن العلم يتمتع بوجود مؤقت على نقيض الأثر الدائم للفن. وكتب أنه «في العلوم، يعرف كل منا أن ما حققه سيصبح قديماً في عشرة أو عشرين أو خمسين عاماً»[62]. وكان الدافع إلى الدور المحدود الذي عزاه ويبر للتفكير العقلاني هو شكوكه حول إمكانية المعرفة. أما اليوم، فإن ما يغذي الانتقادات التي يتعرض لها التفكير العقلاني هو على الأرجح «الخوف من المعرفة». ثمة كتابات فكرية مؤثرة تدعي أن عقلانية التنوير مسؤولة عن بعض أكثر الأحداث تدميرية في التاريخ البشري في حين تُرفض التجربة الحداثية في كثير من الأحيان بوصفها تجربة تدميرية أتت المحرقة اليهودية تتويجاً لها. طبقاً لإحدى الروايات فإن محاولة إبادة الشعب اليهودي كانت «تمريناً في الإدارة العقلانية للمجتمع»[63] وتقدم هذه الفرضية «تشجيع التفكير العقلاني» على أنه

قضية قاسية وحيادية أخلاقياً تجاه قدسية الحياة، ولذلك فهو يمتلك قدرة على «توليد الحلول الشبيهة بالمحرقة»[64].

اليوم لا تأتي أكثر أشكال شجب التنوير مرارة من اليمين، بل من الأصوات الراديكالية التي تعتقد أن مجرد السعي لاكتساب المعرفة من خلال العلم، والتكنولوجيا والابتكار يشكل تهديداً للعالم. ويشير هؤلاء إلى أحداث مأساوية مثل المحرقة كدليل على التهديد الذي يمثله السعي الحثيث لاكتساب العقلانية والمعرفة. أما الفكرة القابلة أكثر للتصديق التي تربط المحرقة بانتصار عدم العقلانية والفشل بتطوير القدرات الكامنة لتراث التنوير فيتم إهمالها يا للأسف! بدلاً من ذلك فإن القدرة الكامنة لإطلاق قوة الدمار تطغى على الخيال المعاصر. إن القدرات التدميرية، لا الإبداعية للمعرفة هي التي تصوغ الخيال العام اليوم.

إحساس بالعجز في وجه انعدام اليقين

لقد قلّصت خيبة الأمل بوعود التنوير ثقة الجمهور في قدرة المجتمع على معرفة وفهم المستقبل والتحكم به في نهاية المطاف. إن وجهة النظر القائلة: إننا نعيش في عالم على درجة من التعقيد، بحيث تجعل ادعاء المعرفة غير ذي معنى هي وجهة نظر يروج لها بشكل منهجي منتقدو الحداثة الراديكاليون. كما يشعر النقاد بالقلق من أن تَقدُّم المعرفة بحد ذاته تنتج عنه مشكلات؛ لأنه يهدد بتشجيع نشاط وسلوك لا يمكن معرفة تبعاته مقدماً. ويجد هذا الموقف تعبيراً قوياً في الرأي القائل: إن أحد منتجات العلم والمعرفة يتمثل في المخاطرة.

يجادل عالما الاجتماع البارزان أولريك بيك وأنتوني غيدينز بقوة بأن ثمة ارتباطاً وثيقاً بين الإحساس بالمخاطرة وزيادة المعرفة. كتب غيدينز أن «العديد من حالات عدم اليقين التي تواجهنا اليوم نشأت عن ازدياد حجم المعرفة». ولاحظ بيك أن «مصادر الخطر لم تعد متمثلة في الجهل بل في المعرفة»[65]. وطبقاً لهذا السيناريو فإن المعرفة عبر تطبيقها تنشئ مخاطر جديدة ووعياً بمخاطرها. إن الادعاء بأن المشكلة لا تكمن في الجهل، بل في المعرفة، إذ يشكك بشكل أساسي في سلطة العلم. إن التفضيل الضمني للجهل على المعرفة يمثل تنويعاً معاصراً على الدعوة المحافظة إلى التحامل في القرن التاسع عشر. في كلتا الحالتين، ينظر إلى المعرفة على أنها غير مرغوب فيها بسبب آثارها التهديدية والتشويشية.

يستند ربط المعرفة في المخاطرة بنموذج للمجتمع لا يرتاح للتغيير وعدم الاستقرار، ويشعر باستمرار بالتهديد من التطور التقني. إن مجتمعاً كهذا يشعر بتقدم المعرفة كمصدر للقلق والتشوش. وفي هذه الأيام، تشكك المجالات التي تربط المعرفة بالمخاطر ضمنياً بالمقدرة الإنسانية على المعرفة. ثمة ادعاء بأنه ليس بوسع المعرفة الإنسانية أن تحيط بالأنماط الفوضوية للأحداث التي أطلقتها الرأسمالية، وإصرار على استحالة معرفة أو حساب التبعات المترتبة على التقانة والفعل الإنساني. ما يبرر هذه النظرة هي المجادلة بأن التطور التقني في بيئة معولمة قد أصبح معقداً جداً، بحيث يقوض أسس فهم المستقبل. نتيجة لذلك يدعي عالم الاجتماع الألماني نيكولاس لوهمان أن «لا أحد في موقع

يمكنه مـن الادعاء بمعرفة المستقبل أو القدرة على تغييره».66 بالنسبة لـوهمـان، فإن المعرفـة تقتصر على تقديم تبصـرات إلى ما حصل في الماضي، وحتى عندها فإن تلك التبصرات تكون محدودة.

في كثـير من الأحيان، تجري عملية إعادة صياغة مفهوم المخاطرة على أنه عدم قدرتنا على المعرفة. وموضع الجدل هنا ليس فقط عدم المعرفـة، بل استحالة المعرفة. إن ربط المعرفة بالخطر المحتمل يستند إلى منظـور فكري شديد العـداء للإنسانونية. وطبقـاً لهذا النموذج، فإن العلـم والمعرفة كليهما يتمتعان بقدرة محـدودة على الوصول إلى الحقيقـة؛ ولأنهما يطلقان ابتكارات ذات آثار غـير مقصودة، فإنهما يتسببـان في مشكلات أيضـاً. تتشكل هذه النظـرة بدرجة كبيرة عبر التجربة السلبية للتغيير السياسي في القرن العشرين. يتم تفسير فشل التجربـة السياسية في الاتحاد السوفييتي والصـين، وخيبة الأمل من سجـل دولـة الرفاهية وزوال سحر وعود التنوير علـى أنه دليل مباشر علـى أن البرامج السياسية الطموحة لا تجـدي نفعاً؛ ومن ثمّ فإن مثل هـذه التجارب السلبية تؤكد أننا ببساطة لا نعرف كيف نعرف. وهكذا يتم الحط من قيمة سلطة المعرفة بدرجة أكبر.

إن الانشغـال بعـدم اليقين والمخاطرة لا يؤدي بشـكل واضح لرفض المعرفـة؛ بـل إنه يساعد على تعزيـز مزاج يعطي للمعرفـة دوراً دفاعياً بشكل رئيس. من هـذا المنظور التحوطي. يفترض في المعرفة أن تتكيف مع المنـاخ السائد المتمثل في القلق وانعدام اليقـين. لقد أدى الإحساس بالضعـف وانعدام الحيلة الذي يحيـط بالنظر إلى التغيير إلى إضعاف

إيمـان الناس بإمكانية معرفة القادم مـن الأحداث، حيث ينعكس ذلك في المطالبة بأن «لا يسبق العلم الرأي العام»، وفكرة أن روح الحذر ينبغي أن تحـدد السرعة التي تتطور بهـا المعرفة. لقد كان تطور المعرفة دائماً عرضـة لمخـاوف براغماتية، إلاّ أن هـذه المخاوف بـدأت تكتسب اليوم محـوراً دفاعياً؛ ولأن سلطـة المعرفة تعرضت للمساومـة عبر التجربة، فإن المجادلـة بالسماح بالسعي للحصول عليهـا لمجرد الحصول عليها أصبحت أقل إقناعاً مما كانت عليه في أزمنة سابقة.

النسبية: التشكيك في ادعاءات المعرفة

مـا يعزز الإحساس بالضعف وانعـدام الحيلة في وجه انعدام اليقين هـو الشعور بأن المعنـى والحقيقة عصيّان على إدراكنـا. في الواقع فقد ساعـد تشوش الاتجاه والقلق المتولـدان عن عدم اليقين في تعزيز مزاج يرحب بالتشكيك المستمـر في المعرفة والحقيقة. تلتقي ردود الفعل هذه مـع الازدراء المعادي للتنوير لفكرة الحقائـق المطلقة. في القرن التاسع عشر، كان مشروع تنسيب المعرفة مصمماً لحماية التراث من ادعاءات العالمية. سعت النسبية الثقافية لحماية الدين والأخلاق والقيم التقليدية ممـا كان يعتقد أنه التهديـد الذي يشكله العلـم، والحقائق الموضوعية والقيـم العالمية. طبقاً لخصـوم التنوير فقـد كان للمجتمعات المختلفة أساليـب مختلفة في فهم العالم، وكانت قيـم هذه المجتمعات ناتجة عن ظروفهـا الخاصة. وبات يُدَّعى بأن كلاً من هذه المناظير المختلفة يتمتع بالمشروعيـة نفسها ويقدم وسيلة أفضل لفهم العالم مما يسمى العالمية المجردة للتنوير.

منذ ستينيات القرن العشرين، نجحت النسبية الثقافية في أن تصبح قوة فكرية فاعلة. وشجع زوال سحر التنوير العديد من المفكرين وشرائح من الجمهور على فهم حياتهم عبر مناظير خاصة بكل منهم. أثبتت النسخة الكاريكاتيرية التي اعتنقتها مؤسسات المجتمع الغربي بأنها أضعف من أن تقاوم الروح القوية التي انبثقت من زوال سحر التنوير التي سادت في النصف الثاني من القرن العشرين[67]. تمثلت إحدى تبعات هذه العملية بأنها وضعت سلطة الحقيقة الموضوعية في موقع دفاعي - وبذلك وضعت ادعاءات الحقيقة كافة موضع تشكيك.

في حين كانت معظم الانتقادات الموجهة للنزعة العالمية تصدر عن اليمين في الماضي، أصبح اليوم اليسار الثقافي هو الخصم الأكثر عدوانية. منذ أواخر القرن الثامن عشر، ارتبطت مفاهيم مثل العقل، و لتقدم، والعالمية بشكل عام باليسار، لكن منذ الستينيات، بدأ اليسار الجديد عملية منهجية لهدم تلك القيم بالتشكيك في ادعاءات العقل، والتقدم والعالمية. انعكس الموقع الفلسفي الجديد في المقاربة السياسية التي احتفت بالتنوع وعارضت القيم العالمية[68]. على عكس نقاد التنوير في القرن التاسع عشر، لم يكن اليسار الجديد، في أصله، مدفوعاً بنزعة محافظة للدفاع عن التراث. لكن ولأن الرأسمالية الغربية قدمت قيمها على أنها عالمية، فإن اليسار الجديد بات معارضاً لها دون تفكير. لم يكتفِ اليسار الجديد برفض العالمية بشكل عام؛ بل إنه تبنى رؤية خاصة للعالم ترتبط بسياسات الهوية. انطوى رد فعل اليسار الجديد

على الرأسمالية الغربية في مرحلة ما بعد الحرب، لا شعورياً، على تمثل لأساليب ومجالات رد الفعل المحافظ على التنوير.

في أثناء الستينيات، كان غرام اليسار بالنسبية متردداً وشبه واعٍ، لكن بحلول أواخر السبعينيات، بات المفكرون الراديكاليون، وعلى نحو أكبر، الراديكاليون السابقون، يتحدثون لغة نيتشه. في عملية وصفها آلان بلوم «بنتشنة اليسار»، انعطف اليسار، الذي نفّرته الحداثة، إلى الخصوصية، والتنوع والاختلاف. من المهم أن نتذكر أن التوجه المنهجي الأصلي نحو الاختلاف بدأ على شكل دفاع عن الامتيازات التي تتمتع بها الأرستقراطية والطبقة الحاكمة. وذكّرت الاختلافات في القدرات الأخلاقية والعقلية لتبرير وشرعنة التراتبية الاجتماعية. وبحلول منتصف القرن التاسع عشر، ربط هذا المنظور نفسه بالاختلافات العنصرية وساعد في شرعنة فكرة وجود تراتبية عالمية للبشر. لم يحاول اليسار الثقافي، كما فعل الداروينيون الاجتماعيون، توفير المبررات الفكرية للفوقية العنصرية. غير أن الإمكانات المحافظة الكامنة لمبدأ الخصوصية تتبلور على شكل يسار في النزعات العالمية والكونية، ومع تحول التمرد ضد خطاب العالمية إلى احتفاء بالاختلاف، أصبحت عملية نزع الصبغة الراديكالية عن النشاط الفكري نتيجة حتمية. وتجلت حصيلة ذلك فيما سمي ما بعد الحداثة وإنكارها المنهجي لوجود المعرفة الموضوعية.

واليوم تسير ما بعد الحداثة على المسار الذي خطه رد الفعل المعادي للتنوير في القرن التاسع عشر. يدّعي هؤلاء أن أشكال المعرفة كافة ذات

تشكيل اجتماعي؛ ولذلك فإن المعارف كافة غير قابلة للقياس، وأن المعارف كافة مشروعة من حيث المبدأ. وتعتمد الحقيقة بشكل كامل على المنظور المتبنى. ويدّعي ما بعد الحداثيين في الغالب أن ليس هناك طريق واحد يؤدي إلى الفهم. ويتسع هذا الإجراء أيضاً ليشمل المنهج، حيث يمكن الوصول إلى الحقيقة بطرق مختلفة. ويمثل التوسع في تفصيل نسبية المنهج إحدى الخصائص المميزة لما بعد الحداثة. ويستند إلى الاعتقاد الرومانسي بأن الطريق إلى الفهم يمر بالذاتية، وبالحَدْس على نحو محدد. توسع ما بعد الحداثيين في شرح هذه الفكرة للقول: إنه نظراً لوجود عدد من الحقائق، وليس حقيقة واحدة، فإن هناك أيضاً عدة طرق مشروعة للوصول إلى تلك الحقائق. ويطرح ذلك أيضاً أن أولئك الذين يعيشون تجربة معينة هم الأقدر على فهم تلك التجربة. ويدعي بعضهم بأنهم وحدهم القادرون على التعليق على تجاربهم الخاصة.

نادراً ما يتم التعبير صراحة عن النسبية المنهجية. ويتخذ هذا التعبير بشكل عام شكلاً سجالياً في توجيه الاتهام بالإمبريالية الثقافية أو المركزية العرقية في الولايات المتحدة، على سبيل المثال، ثمة طرح بأن كتابة تاريخ السود هو من حق السود أنفسهم دون غيرهم. وفي أثناء العقود الثلاثة الماضية، احتكر عدد من المجموعات براءة استكشاف أرواح السود، وباتت طريقتهم الفريدة في المعرفة تمثل صك شرعية معرفتهم. ومن بين المجموعات كافة، فإن النسوية الأكاديمية هي التي تمتلك أكثر الأنظمة المعرفية ذات الخصوصية تفصيلاً. كرد فعل

على الرؤية الذكورية للعالم، تحاول بعض النسويات المتخصصات في الدراسات الثقافية طرح رؤية أنثوية للعالم.

ويعيد كتاب كارول كيليغان، طريقة المرأة في المعرفة بشكل واضح عن هذه النزعة باتجاه جمع التجربة الشخصية مع المعرفة. إضافة إلى ذلك، وكما يكتب نوفيك، «بالنسبة للعديد من النسويات فإن أيديولوجيا «الاختلاف» اتسعت لتشمل أسئلة جوهرية تتعلق بالأساليب والقيم المعرفية»[69].

تقوم المنظرات النسويات بتحويل خصائص أنثوية محددة إلى مجردات من أجل إيضاح وتفصيل منظور المرأة إلى الأشياء. من نافلة القول: إنه، من هذا المنظور الحصري، يمكن للنساء فقط أن يعرفن النساء. يذكرنا نوفيك أنه «وبحلول أواخر السبعينيات لم يعد الادعاء القائل: إن تاريخ النساء يمكن أن يكتب على نحو مشروع من قبل النساء ومن وجهة نسوية فقط موضوعاً للجدل؛ بل أصبح مسألة مستقرة غير قابلة للنقاش»[70].

تفترض إدانة «العقلانية الغربية» أو «المنطق الذكوري» أن التنظير والمعرفة يساويان التجربة. يستند هذا المنظور إلى زعم مفاده أن الطريق إلى الحقيقة يمر قبل كل شيء عبر التجربة الذاتية وليس عبر التنظير أو التأمل. لكن أن يكون المرء أسود أو أبيض أو معوقاً أو يابانياً لا يضيف مكانة متميّزة تتيح الوصول إلى معرفة التجربة. كما يجادل ماتيك بإقناع، فأن يكون الفرد جزءاً من ثقافة لا يمكّنه من تحقيق فهم أفضل لتلك الثقافة من فهم أولئك الذين يدرسونها من الخارج. ويكتب أن «المشاركين

في ثقافة ما، حتى عندما يمكن أن يعرفوا (وفي الواقع عليهم أن يعرفوا) القواعد والمعايير التي تنظم السلوك الاجتماعي في تلك الثقافة، فإنهم قد يمتلكون فقط فكرة غامضة جداً عن الكيفية التي تترابط عبرها الأجزاء المختلفة للحياة الاجتماعية التي يشاركون فيها». وكي يعزز حجته، يقتبس ماتيك فريتز ماشلوب في تقديمه لعالم أنثروبولوجيا قادم من المريخ يراقب سوق الأسهم ويلتقي بالمشاركين فيه.

حيث إن 999 من كل ألف شخص يشاركون في سوق الأسهم لا يعرفون فعلياً ما تفعله السوق وكيف تفعله، فإن أكثر المراقبين اجتهاداً سيبقى جاهلاً إلى حد بعيد لطبيعة ما يجري فيها بالرغم من التقائه بعدد كبير من المشاركين. ويا للأسف! فإن علم الاقتصاد لا يمكن تعلمه بالمراقبة أو بإجراء المقابلات مع الأشخاص المشاركين في الأنشطة الاقتصادية. يتطلب الأمر الكثير من التنظير قبل أن يتمكن المرء من فهم التفاعلات المعقدة في نظام اقتصادي معين[71].

إن الملاحظة، كالتجربة، تبقى غير ذات معنى خارج إطار النظرية. ن القدرة على تقديم عرض سليم لكيفية عمل سوق الأوراق المالية لا يشترط بالضرورة أن يكون المرء موظفاً فيها؛ بل إن شخصاً يتمتع بمعرفة جيدة لنظرية الحياة الاقتصادية أقدر على فهم التفاصيل لدقيقة والمتشابكة لعمل سوق الأوراق المالية.

إن النزعة لمساواة المعرفة بالتبصرات التي يكتسبها الأشخاص من التجارب المجزأة تجعل من المستحيل التوصل إلى معيار عام ذي

معنى لتقويم ادعاءات المعرفة. عبر تحويل المعرفة إلى معارف، فإن دور المثقف يمكن تفسيره بوصفه مجرد وجهة نظر أخرى لا تنطوي على أهمية خاصة بالنسبة للمجتمع. ولم يقتصر تأثير هذه النزعة على المثقفين فقط؛ بل إن النزعة المتنامية في اتجاه نسبية ادعاءات المعرفة، كان لها أثر كبير على النظريات والممارسات التعليمية. يعد العديد من القائمين على التعليم اليوم التعلم عبر التجربة موازياً من حيث المكانة للمعرفة النظرية.

لقد أسهمت عقيدة النسبية الثقافية في ازدهار النظريات التعليمية التي تشجع موقفاً فلستينياً من المعرفة. ولقد أصبح التأثير ما بعد الحداثي على نظرية التعليم واسع الانتشار اليوم. ويتم إعادة تدوير التشكك ما بعد الحداثي في وجود معايير عالمية في المدارس في أثناء انتقاد أنظمة التقييم التي تستند إلى معيار عام. يجادل بعض ما بعد الحداثيين من القائمين على التعليم بأن المعرفة بحد ذاتها - هي عقلانياً وموضوعياً مجرد تحامل ذكوري. يجادل ديل سبندر وإليزابيث سارة بأن الخبراء الذكور قاموا ببناء «المعرفة التعليمية، بحيث يتحكمون فيمن ينجح ومن يرسب. وبدلاً من «المعرفة التعليمية»، يدعو هؤلاء النقاد المؤثرون إلى الاعتراف «بالمعرفة الشخصية» ويجادلون بأن «كل شخص يمتلك معرفة شخصية مشروعة، وما من طريقة لتصنيف هذا»[72].

في المدارس، أضفي على التجربة الذاتية للأطفال قدر كبير من السلطة. ومن هذا المنظور، فإن الدور المعطى للمدرس ليس تعليم

المعرفة الموجودة خارج هذه التجربة، بل رعاية وتظهير التبصرات التي يملكها الطفل أصلاً. وكما يجادل أحد نقاد هذا التطور، فإن «إعادة تعريف المعرفة على أنها التجربة الذاتية للطفل ترتب عليها تحوّل من التركيز على المدرّس إلى التركيز على المتعلم»[73]. ويتم التركيز بشكل منهجي على الاحتفاء بالتجربة الخاصة للأطفال في الكتب المدرسية التي تطغى عليها روح تقديم ما يعود بالفائدة العملية على المتعلم. يبدو أنه لا ينبغي مواجهة الأطفال بصور وأفكار غريبة عن تجربتهم. وفي موضوعات مثل التاريخ والأدب، «يتم تقديم المساعدة عبر «تحديث» القصص الكلاسيكية لمساعدة الأطفال على فهمها».

لكن ما هي بالتحديد المعرفة الشخصية؟ إنها ما يتعلمه الأطفال عبر تجربتهم الشخصية. المعرفة الشخصية، بالنسبة للأطفال، هي ما يتعلمونه في بيوتهم، ومن أترابهم ومن وسائل الإعلام. توفر هذه المعرفة الشخصية للأطفال تبصرات قيمة حول العالم، لكنها لا تقدم لهم التعليم الذي يمكنهم من التشكيك، وصيانة المفاهيم، وحل المشكلات والتطور فكرياً. تفشل المعادلة التي تساوي بين «المعرفة الشخصية» و «المعرفة التعليمية» في التمييز بين التجربة الاعتباطية للطفل والمحاولة المنهجية لتطوير إمكانياته الكامنة.

إلاّ أن الخط الفاصل بين المعرفة والتبصرات اليومية أصبح في أقل حالاته وضوحاً في النظام الجامعي. كثيراً ما يحاول المدافعون عن توسيع المشاركة إضعاف سلسلة المعرفة الفكرية؛ بغية تيسير الوصول إلى التعليم العالي. ويتم تبرير هذه المقاربة على أساس أنها تركز في التعليم على الطلاب بدلاً من التركيز على المواد الدرسية.

وتتمثل إحدى الطرق التي يسعى أنصار هذه السياسة عبرها إلى تحقيق أهدافهم في اعتمادية التعلّم السابق، حيث تتم مكافأة الطلاب فعلياً على ما يتعلمونه من تجاربهم في الحياة قبل وصولهم إلى الجامعة. من هذا المنظور، فإن التبصرات التي يتم اكتسابها من الروتين العادي للحياة اليومية تماثل من حيث الجودة المعرفة المكتسبة عبر الدراسة المنهجية.

لا يقتصر دعم الاعتراف «بالمعرفة الشخصية» على المنظرين ما بعد الحداثيين، بل باتت مجالس الامتحانات الحكومية والعديد من الجامعات تقبل اليوم اعتماد المعارف السابقة بوصفها أداة مفيدة في التقويم. وتعطى التجربة الشخصية قيمة أكاديمية ويُقبَل أرباب الأسر في البرامج الدراسية؛ لأن خبراتهم في مجال تخطيط الموازنة، ومهاراتهم التنظيمية وقدرتهم على التواصل تعادل دراسات في التواصل يمكن على أساسها دخول الجامعة. يشرح أحد المدافعين عن الاعتماد الأكاديمي للتعلّم السابق هذه المقاربة على النحو الآتي:

> يستند التبرير الذي يساق عادة لاستعمال التعلّم من الخبرة إلى الافتراض بأن الناس تعلموا، ويستمرون في التعلم عبر تجاربهم العملية والحياتية. إنهم ينقلون هذا التعلم معهم إلى التعليم العالي، ولذلك يمكن الاعتراف به عبر عملية التقييم المناسبة. وهذا يتطلب المنهجة من حيث المعارف والمهارات المحددة، وهي عملية يعتقد أنها تتطلب التأمل. في الواقع فإن المادة الأولية للتجربة

الذاتيــة يتم تحويلهــا إلى بيانات «موضوعيــة» بحصائل التعلم[74].

يتم تدويــر الدروس المستقاة من مدرسة الحيــاة بوصفها معرفة عبر العمليــة الإدارية المتمثلة في إخضاعها لحصائــل التعلّم. لو اقتصر الأمر علــى جرعــة صغيرة أخرى مــن الاعتمادية، لما كان هنــاك حاجة للتعليق علــى ذلــك. إلا أن عمليــة إضفــاء السلطة علــى التعلّم السابــق يقلل من قيمــة المعرفة الحقيقية. قد تكون دروس الحيــاة مثيرة للاهتمام ومفيدة للشخــص المعني لكــن، وحتى في أفضل الحالات، فــإن التأمل في التجربة الفرديــة يكــون اعتباطيــاً، وشخصيــاً، ومحــدداً للغاية، بحيــث تتقلص احتمــالات توليــده للمعرفة التــي يمكن أن تقــدم معنى وفهمــاً للناس في المجتمــع. يتــم إنتــاج المعرفة في كثير مــن الأحيان عبر فصــل الناس عن تجربتهــم المباشــرة، بحيث يتمكنون مــن تجاوز ظروفهــم المحددة وعبر موقعهم المنفصل يتعلمون توظيف التبصرات التي يولدها المجتمع بأكمله.

إن الحــط من قيمة سلطة المعرفة ليس أثراً جانبياً للنضال من أجل اعتماد التعلم السابق. وأولئك الذين يدعمون قضية توسيع الوصول إلى التعليــم الجامعي لا ينظــرون بكثير من الاحــترام إلى المعرفة المكتسبة عــبر الدراسة المنهجية والبحث والتجريــب المنهجيين. إنهم لا يعتقدون فقــط أن المعرفة هي مجــرد تركيب اجتماعي؛ بل إنهــا تستعمل لتعزيز الامتيازات النخبوية. وهذه النظرة معادية بوجه خاص لسلطة الأبحاث البحتــة؛ إذ إنهــا «تحتــل موقعــاً متميّزاً وتمثل محــدِداً مهمــاً للمكانة،

ولتوزيع الموارد والمواقف والتوجهات العامة». إضافة إلى أنها «تسهم في الإقصاء على أساس الحاجة إلى المحافظة على أعلى «المعايير» في البحث وتحيل التركيز على الطلاب إلى مكانة متراجعة على سلم الأولويات»[75]. وحيث إن منتج الأبحاث البحتة لا يتوافر بسهولة لمعظم الناس، فإن أولئك الذين يعتنقون عقيدة توسيع الوصول إلى الجامعة إلى أكبر حد ممكن يعتدونها مجرد عقبة تقف في طريق تحقيق النصر لقضيتهم. ولهذا السبب يمكنهم ببساطة أن يستخفوا بالإنجازات الفكرية للحضارة الإنسانية التي تحققت بشق الأنفس، كما يمكنهم أن يهزؤوا باستمرار من «المعايير» بوصفها خدعة نخبوية لاكتساب الثقة.

لقد قبلت المؤسسة التعليمية بالمكانة المقيدة التي مُنحت للمعرفة الفكرية. وقد فعلت ذلك عبر التعامل مع كل حصيلة لتجربة التعلّم بوصفها معرفة. لقد قبل الوسط الأكاديمي بأن التبصرات العاطفية الذاتية والتدريب المؤدي إلى اكتساب المهارات ينبغي أن تصنف على أنها «معارف»، في حين أن منح الاعتمادية للتعلّم السابق يضع المهارات الحياتية في مستوى المؤهلات الأكاديمية نفسه، ويضع التدريب المهني والمتعلق بالعمل بمستوى البحث الأكاديمي نفسه. كما يجادل رون بارنيت في كتابه تحقيق الجامعة: «إن المعرفة التي تنطوي على عمليات، والمعرفة الضمنية، والتعلّم عبر الفعل، والتعلّم عبر التجربة: كل هذه المصطلحات تشير إلى تعدد طرق المعرفة في العالم الحديث». إن تعدد الطرق المختلفة للمعرفة يحرم المعرفة الفكرية من أي قيمة فريدة.

لماذا تتكلف عناء العمل الشاق من أجل التعلّم في حين يمكنك اكتساب شيء من التعلّم عن طريق الخبرات التي تكتسبها في المقهى، وكذلك الحصول على الاعتمادية الرسمية لهذه الخبرات؟

يحاول المنظور الذي يرتكز على الطالب، كغيره من أشكال الرؤية النسبية للعالم، باستمرار أن يقصر المعرفة على الأشياء التي تنشأ من تجربة معينة. كما يذكي عداؤه للمعرفة الفكرية التي تتجاوز الخصوصية الإدراك بأن مكانته هو وسلطته هو تعتمد على الحط من قيمة المعرفة المجردة. ويظهر نجاحه عبر النفوذ الذي اكتسبه في المؤسسة التعليمية بفروعها المختلفة. إن المعرفة الموضوعية لم تعد تتمتع بالمشروعية الثقافية القوية، لا داخل هذه المؤسسات ولا خارجها.

التسوية الأداتية

بالرغم من تكثف النزعات التي تحاول أن تقيد سلطة المعرفة، فإن المجتمع لا يزال بحاجة إلى التبصر من أجل معالجة المشكلات المعقدة التي ما فتئت تظهر في عالمنا الذي يفتقر إلى اليقين. إن ثقافة الخوف التي تؤثر في موقف الجمهور حيال الابتكار والتجريب التكنولوجي يتعايش مع الطلب على المزيد من العلم والمعرفة.

الكاردينال نيومان، في كتابه الكلاسيكي «فكرة الجامعة» الذي وضعه دفاعاً عن الجامعة الليبرالية، لاحظ أن «المعرفة قادرة على أن تكون غاية ذاتها». غير أن فكرة المعرفة من أجل المعرفة نادراً ما تحققت في الواقع. لقد فُرض على الجامعات وغيرها من المؤسسات

دائماً أن تنخرط في الضغوط التي تمّارسها مصالح متصارعة ومسائل عمليـة. بالرغم من وجود علاقة متوتـرة، فإن تقدير المعرفة والاهتمام بتطبيقاتهـا العمليـة يمكـن أن يتعايشـا معـاً. يمكن للأبحـاث البحتة والتطبيقية، وللنظرية المجردة والتجريبية أن تزدهرا طالما بقيت سلطة المعرفة مقبولة في المجتمع. المشكلة اليوم لا تتمثل في الطلب البراغماتي علـى المعرفة العملية، بل في الضغـوط الأداتية على إنتـاج المعرفة التي نادراً ما يتم احتواؤها في السعي الأوسع للوصول إلى الفهم.

تتعايش الضغـوط الأداتية علـى إنتاج المعرفة بسـرور مع النزعات النكوصيـة التـي ناقشتهـا آنفـاً. لقـد قامـت الشـركات الخاصـة، والحكومـات، ووسائل الإعلام، والجامعات بتمثل مـزاج التشكك تجاه إرث التنويـر. لقد تمثلت الموقف الحـذر حيال تطور المعرفة واستسلمت لتأثـير النسبية، خصوصاً على الثقافة والسياسة. لقد تم ترسيخ تسوية غير رسمية مؤداها أنه يمكن تطوير المعرفة في المجالات التي تكون فيها ضروريـة من الناحية العملية. وقد أدى ذلـك إلى نشوء تعايش قلق بين ادعاءات متنازعة في المعرفة. نتيجة لذلك فإن منتجي المعرفة ينبغي أن يتقاسموا السلطة مع مجموعات ضالعة في تقييد تطور العقل والعلم.

مـا زال النـاس بالطبع يسهمون في تطوير المعرفـة. إلاّ أنه وفي عالم مدفوع بشكل كامل بالاهتمامات البراغماتية، فقد أصبحنا خلواً من أي قـدرة على اتخاذ قرار جماعي حول كيف نقدر المعرفة وكيف نؤكد على أهميتهـا. عندما تفتقد المعرفة إلى المعنـى فإنها لا تعود ملكاً للجمهور، بـل ملكاً للمختص والخبير. إن تشظي الحيـاة الفكرية الذي يؤدي إلى

انتشار التخصصات ليس ببساطة استجابة للحاجة إلى الانخراط في العالم المعقد. ما يذكي نمو التخصص هو ثقافة لا يُشجع فيها المثقفون على النظر إلى الصورة الكبرى، بل يشجعون على العثور على المعنى في اختصاصاتهم. باتت النقاشات، وعلى نحو متزايد، تشير إلى الذات دون أن تكون مصممة للتواصل مع أو إشراك الناس الموجودين خارج مجال تخصص معين. في مثل هذه الظروف، تبدو المعرفة الموضوعية وكأن لها طبيعة تقنية، ويحل الخبراء والتقنيون محل أولئك الباحثين عن تبصرات أكثر عمقاً. لقد طورنا بدلاً من المعرفة نزعة لتطوير جملة من المعارف الجزئية.

إحدى المشكلات المرتبطة بالخبراء والمتخصصين ووسطاء المعرفة هي أن تبصراتهم تقتصر على اختصاصاتهم. إضافة إلى أنه ليس هناك دعم ثقافي لمشروع تحويل تلك التبصرات إلى خطاب عام أوسع.

بالرغم من ذلك، فإن الواقع متعدد الأبعاد، ومعرفته تتطلب أن يتحدث المرء ويعمل عابراً مجالات وتخصصات مختلفة. لسوء الحظ، حتى في الجامعة فإن ضرورة التخصص تحول دون اكتساب المعرفة العامة التي تشكل شرطاً سابقاً لعمل المجتمع ذي التوجه المعرفي. في المحصلة، فإن تلاشي المعرفة العامة يؤدي إلى حرمان المجتمع من شبكة أوسع من المعنى العام.

إن الضغوط الثقافية القوية التي شجعت على ظهور نسخة ضعيفة من المعرفة السائدة اليوم تشجع أيضاً ظهور موقف فلستيني تجاه حياة العقل. من شأن النزعة البراغماتية تجاه المعرفة أن تحد من الأضرار

التي تحدثها النزعات التي ناقشتها آنفاً. غير أن البراغماتية بحد ذاتها تحـوّل الطاقات الفكرية بعيـداً عن تحقيق الإمكانـات الكامنة؛ لإحداث تأثير مهم على الحياة العامة، وفي اتجاه هوس بالتخصصات الضيقة.

obeikandl.com